

سينما الشارع تضيء لأطفال سوريا في مناطق نائية درب الحياة

مشروع لتعريف الجيل الناشئ على الفن السابع في شمال شرق البلاد



الحلم المصور

إلى السينما منذ عقود. تقف مجموعة منهم جانبا، يتبادلون الأحاديث والتكديرات عن دور السينما التي كانوا يرتادونها في الماضي. ويقول عدنان جولي (56 عاما) الذي أتى برفقة طفليه، "قبل أربعين عاما، كنت أذهب إلى سينما عامودا وأشاهد الأفلام (من الخارج) عبر النوافذ". ويضيف "كان شعور جميل يتملكني حين تنظفني الأضواء ويبدأ الفيلم (...). وها هم أطفال اليوم يشاهدون السينما ويعيدون لي ذكرياتي". لا تقتصر أحلام شيريو وفريقه على مشروع السينما المتنقلة والمؤقتة هذه، فهم يطمحون إلى إنشاء دور سينما دائمة في شمال شرق سوريا، إلا أن هذه المهمة ليست سهلة. ويقول شيريو، "الأمر رهين بانتهاء الحرب وتحقيق الاستقرار في البلاد".

مطبوعة بحادثة سينما عامودا في العام 1960، حين اندلع حريق ضخم أثناء احتفالات السينما بالمئات من التلاميذ، ما أسفر عن وفاة أكثر من 280 طفلا. ويوضح شيريو الذي أخرج قبل سنوات فيلما كورديا بعنوان "قصص المدن المكتوبة" يستعيد ما تعرضت له بعض المدن ذات الغالبية الكردية نتيجة المعارك مع تنظيم الدولة الإسلامية بينها كوباني، أن "السينما في طفولتي كانت ذاك المكان المظلم". ويضيف، "لكن بعدما تعرفت إليها، أردت أن استبدل الظلام بالألوان، نريد زرع ثقافة السينما في القرى بعيدا عن ذكريات احتراق سينما عامودا العالقة في ذاكرة الشعب الكردي". عامودا، أعاد شيريو وفريقه الكرّة، ولكن هذه المرة بعرض الفيلم الأمريكي

في شمال شرق سوريا، ولم تكن دور السينما الموجودة والمحدودة العدد أساسا تقدم سوى أفلام غير معروفة منها الهندية والخليجة، قبل أن تغلق أبوابها لاحقا لانعدام الاهتمام بها. ونظرا لصعوبة إيجاد مراكز ثقافية أو صالات عرض، وبسبب إصراره على ألا يُحرم أحد من مشاهدة السينما، اختار شيريو أن يبادر إلى تنفيذ مشروع السينما المتنقلة. ويوضح، "هدفنا خلال عام ألا يبقى طفل في روجافا (أي غرب كردستان) لم يشاهد فيلما سينمائيا، نعرضها لزرع ثقافة مشاهدة الأفلام لديهم". واختار فريق المشروع فيلم تشابلين لتعريف الأطفال على "السينما العالمية منذ تكوينها ولزرع معرفة السينما في وعيهم". وتعرض السينما المتنقلة أفلاما متنوعة أمريكية وفرنسية من بينها رسوم متحركة بعد أن تمت دبلجتها إلى اللغة الكردية. لم تكن السينما يوما مصدر اهتمام كبير في المناطق ذات الغالبية الكردية

في شمال شرق سوريا، ولم تكن دور السينما الموجودة والمحدودة العدد أساسا تقدم سوى أفلام غير معروفة منها الهندية والخليجة، قبل أن تغلق أبوابها لاحقا لانعدام الاهتمام بها. ونظرا لصعوبة إيجاد مراكز ثقافية أو صالات عرض، وبسبب إصراره على ألا يُحرم أحد من مشاهدة السينما، اختار شيريو أن يبادر إلى تنفيذ مشروع السينما المتنقلة. ويوضح، "هدفنا خلال عام ألا يبقى طفل في روجافا (أي غرب كردستان) لم يشاهد فيلما سينمائيا، نعرضها لزرع ثقافة مشاهدة الأفلام لديهم". واختار فريق المشروع فيلم تشابلين لتعريف الأطفال على "السينما العالمية منذ تكوينها ولزرع معرفة السينما في وعيهم". وتعرض السينما المتنقلة أفلاما متنوعة أمريكية وفرنسية من بينها رسوم متحركة بعد أن تمت دبلجتها إلى اللغة الكردية. لم تكن السينما يوما مصدر اهتمام كبير في المناطق ذات الغالبية الكردية

في شمال شرق سوريا، ولم تكن دور السينما الموجودة والمحدودة العدد أساسا تقدم سوى أفلام غير معروفة منها الهندية والخليجة، قبل أن تغلق أبوابها لاحقا لانعدام الاهتمام بها. ونظرا لصعوبة إيجاد مراكز ثقافية أو صالات عرض، وبسبب إصراره على ألا يُحرم أحد من مشاهدة السينما، اختار شيريو أن يبادر إلى تنفيذ مشروع السينما المتنقلة. ويوضح، "هدفنا خلال عام ألا يبقى طفل في روجافا (أي غرب كردستان) لم يشاهد فيلما سينمائيا، نعرضها لزرع ثقافة مشاهدة الأفلام لديهم". واختار فريق المشروع فيلم تشابلين لتعريف الأطفال على "السينما العالمية منذ تكوينها ولزرع معرفة السينما في وعيهم". وتعرض السينما المتنقلة أفلاما متنوعة أمريكية وفرنسية من بينها رسوم متحركة بعد أن تمت دبلجتها إلى اللغة الكردية. لم تكن السينما يوما مصدر اهتمام كبير في المناطق ذات الغالبية الكردية

الفنون تضيء درب الحياة خاصة منها السينما سابع الفنون الذي يجسد الأحلام بالصور ويجعلها ممكنة، هذا ما جعل فريق يرأسه مخرج كردي يطوف بين المدارس في القرى النائية في المناطق السورية الكردية ليجمع الأطفال وحتى الكبار حول أفلام بعضهم لا يعرف عنها شيئا.

سجنق سعدون (سوريا) - أمام شاشة عرض مثبتة على جدار، يغرق فتيان وفتيات في نوبات من الضحك وهم يتابعون فيلما بالأبيض والأسود لتشارلي تشابلين، في إطار مشروع سينما متنقلة في شمال شرق سوريا هدفه تعريف الجيل الناشئ على الفن السابع. يجول المخرج الكردي شيريو هندي من قرية إلى أخرى في مناطق الإدارة الذاتية في شمال شرق سوريا. يحمل جهاز عرض وشاشة وحاسوب ومكبرات صوت. يختارون مكان العرض ثم يحددون موعد استقبال الأهالي، خصوصا الأطفال منهم.

في باحة مدرسة قرية سنجق سعدون، ينتظر الأطفال بحماسة بدء عرض الفيلم الذي يروي قصة متسول ينقذ حياة طفل. يأخذ كل منهم مكانه على الكراسي البلاستيكية الملونة التي سرعان ما امتلأت. ينهمكون في أحاديث جانبية أو يتبادلون الضحك مع المخرج، قبل أن يطل عليهم تشارلي تشابلين في فيلمه الصامت "الطفل" الذي أخرجه وانتجه في العام 1921. وقبل دقائق من بدء العرض، لم يجد بعض الحاضرين كرسيًا للجلوس عليه فاختاروا المشاهدة وقوفًا، أو جلوسًا على الأرض.

لا يحيد الأطفال نظرهم عن الشاشة، تتعالى قهقهاتهم بشكل منكر بين مشهد وآخر، لاسيما لدى محاولة بطل الفيلم أن يمسح أنف طفل يشاهده التمثيل بعد احتسائه الحليب من إناء مخصص لري المزروعات. يتنقل شيريو (39 عاما) بين الأطفال بينما ترتسم ابتسامة عريضة على وجهه، يراقبهم من بعيد فرحا بتفاعلهم مع فيلم قديم بهذا الشكل. يقول، "عرضنا أفلاما في مدن عدة سابقا، لذلك رأينا أن يكون لأطفال القرى أيضا نصيب من مشاهدتها".

الأفغان يرممون ما دمرته طالبان من أعمال أثرية وفنية

جدول أعمال المفاوضات بين الولايات المتحدة وحركة طالبان، والتي ركزت فقط على انسحاب القوات الأمريكية وضمانات طالبان بعدم استخدام البلاد كقاعدة انطلاق لشن الهجمات الإرهابية العالمية. وقال آدم تيفن، نائب مدير تحالف "البيانس فور ريسنوريشن أوف كلتشرال هيريديج" ومقره ولاية فرجينيا، "لا نعرف إذا تمت مناقشة الأمر أم لا، وهذا شيء نتابعه عن كثب". ويعتبر زلماي خليل زاد، المبعوث الأمريكي الذي يقود المحادثات مع طالبان، وهو المدير الفخري لهذه المنظمة. وقال مدير المتحف محمد فهم رحيمي، "إذا لم نتعلم من ماضي، فنحن حتمي". وقد عبر عن قلقه بشأن عودة طالبان المحتملة ووضع خطط لحماية مقتنيات المتحف، "أمل أن يكونوا قد علموا أن هذا ليس ضد الدين الإسلامي، فلا أحد يعيد هذه الأشياء، والجميع ينظر إلى هذه الأشياء على أنها تاريخية وأثرية". وقد حث رحيمي طالبان على الذهاب إلى المتاحف في الدوحة، قطر، حيث يوجد مكتب سياسي للمجموعة، ومساهمة القطع الأثرية الموجودة هناك. وقال رحيمي "لقد حققنا الكثير خلال 18 عاما منذ هزيمة طالبان، وإذا عادوا إلى السلطة ولم يكن هناك تغيير في عقليتهم، فهذا يعني أننا بالتأكيد قد عدنا إلى حيث بدأنا وأي شيء حققناه سيذهب هباء". لم يتم تدمير كل تماثيل حداء، فعلى بعد مسافة قصيرة من الممر الذي تقع فيه ورشة الترميم والتي تعكس التدمير الذي تسببت فيه طالبان، يوجد تمثال لبوذا وهو جالس، والذي يعود تاريخه إلى القرن الثالث أو الرابع.

طريق الاستعانة بالأشرطة المطاطية في ورشة العمل، وهي جزء من لغز معقد يمكن أن يستغرق أياما للصق قطعة واحدة إلى أخرى. وتعد تماثيل حداء من أبرز علامات المتحف في هذه الأيام والتي تعود إلى الاضطرابات التي استمرت سنوات في أفغانستان والتي بدأت قبل طالبان، عندما تقاتل أمراء الحرب على كابول في أعقاب الانسحاب السوفييتي. تم نهب الكثير من مقتنيات المتحف، ومنها الآلاف من القطع، وتم كصف المبنى، رغم أن بعض الكتلونات كانت مخبأة في القصر الرئاسي في كابول وفي أماكن أخرى. وتم أيضا تدمير سطح الغرفة التي يتم فيها الآن تجميع تماثيل حداء معا. وبدأ ترميم المتحف بشكل جدي في عام 2004، خلال الفترة التي بدأت فيها حركة طالبان في إعادة تجميع صفوفها، وتم استعادة بضع المئات من القطع الأثرية في السنوات الأخيرة. والآن يقوم المتحف والمعهد الشرقي لجامعة شيكاغو بتجميع قائمة جرد كاملة على أمل تعقب القطع الأثرية المفقودة، وحفظ سجل رقمي للمجموعة في حالة وجود المزيد من التهديدات. وتم استكمال قاعدة البيانات بنسبة 99 بالمئة، بعد أن تم إنقاذ أكثر من 135 ألف قطعة، وفقا لتصريحات المعهد الشرقي. وبالنسبة إلى القطع الأثرية المفقودة، يامل المعهد في نشر ملصقات بصور رقمية لهذه القطع على الإنترنت، "بحيث يمكن رصدها واستعادتها وترميمها". وقد عبر الخبراء والمدافعون عن تاريخ أفغانستان الغني عن استيائهم من أن الحماية الثقافية لم تكن على

ون بين الأشياء التي دُمرت تماثيل حداء، وهي مجموعة بارزة من التماثيل البوذية التي اكتشفت قبل عقود في شرق أفغانستان، بالقرب من مدينة جلال آباد الحالية. وتتشير الصور الفوتوغرافية التي أخذت للتماثيل قبل نسفها، وكذلك القطع المكسورة بعد التدمير إلى تجعبد الشعر أو إلى الشفاء. حطمت طالبان التماثيل وحولتها إلى قطع لا يزيد الكثير منها عن حجم قبضة اليد أو حتى العملات المعدنية. ويتم الآن تجميع بعض الرؤوس المحطمة عن

نظرهم، التي أظهرت أشكالا بشرية، حتى الأشكال الإسلامية المبكرة، حطموها بالمطارق ودمروها تماما. وقال صيفي، من فريق الترميم، "لم نتمكن من منعهم، إنهم كانوا يحطمون جميع الأفعال، ويدخلون كل غرفة ويحطمون كل شيء. كان المشهد مفرجا ومروعا، لقد دمروا تاريخهم". تم تحطيم أكثر من 2500 تمثال، قال صيفي، إن أعمال الترميم قد تستغرق عقدا من الزمن، لكن، "نشعر بالسعادة حقًا بعد أن نجتمع هذه القطع معا مرة أخرى" ونعيد إحياء معانيها.

كانت تاوي القاعدة وزعيمها أسامة بن لادن، يتذكر شيرازالدين صيفي اليوم الذي اقتحمت فيه طالبان المتحف الوطني في عام 2001، وهي فترة من التدمير الثقافي التي تم فيها تفجير أكبر تماثيل بوذا في العالم في مقاطعة باميان. ولبضعة أيام، عمدت حركة طالبان إلى تدمير القطع الأثرية في متحف كابول والتي تعود إلى مختلف حقب تاريخ أفغانستان منذ الألف السنين باعتبارها ملققة للثقافات، منها اليونانية والفارسية والصينية وغيرها. واختاروا العناصر المسيئة حسب

كابول - جاء مقاتلو طالبان مسلحين بالمطارق والكرهية، تركوا وراءهم بعد مرور 18 عاما، قطعا من التماثيل المنحوتة لبوذا على طاوولات في المتحف الوطني بأفغانستان قالوا إنها ضد الإسلام.

يحاول العاملون في المتاحف في كابول ترميم هذه القطع في الوقت الذي تنتظر فيه البلاد عقد اتفاق سلام بين طالبان والولايات المتحدة بشأن إنهاء أطول حرب أميركية. ومن المتوقع أن يؤدي الاتفاق إلى إجراء محادثات بين الأفغان لتعب فيها المجموعة المتطرفة دورا في تشكيل مستقبل أفغانستان. وبينما يلتقط العمال، وهم يرتدون القفازات، المئات من القطع الدقيقة المهشمة والتي تحمل اسم "أذان" و"أبدي" و"جبين" و"عيون"، يبذو المستقبل هشا. وقد ظهرت تفاصيل قليلة من عدة جولات من مفاوضات الولايات المتحدة وطالبان التي عقدت على مدار العام الماضي، ولا أحد يعرف كيف ستبدو عودة طالبان إلى العاصمة كابول، حيث لا تزال البلاد تشهد هجمات شبه يومية ليس فقط من جانب حركة طالبان، والتي تسيطر الآن على حوالي نصف أفغانستان، ولكن أيضا من فرع تنظيم داعش.



الفنون تهزم الحرب والدمار

وقد فرض حكم طالبان الذي دام 5 سنوات شكلا قاسيا من الشريعة الإسلامية، وحرّم تعليم الفتيات وحظر الموسيقى ومنع النساء من الخروج من منازلهن. لكنه انتهى بعد فترة وجيزة بعد الغزو الذي قادته الولايات المتحدة في أعقاب الهجمات الإرهابية في 11 سبتمبر 2001 بهدف هزيمة طالبان، التي